

فجرُ القُدَى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

داود

١٢

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يُوسُفُ عليه السلام
- ٨- شُعَيْب عليه السلام
- ٩- أَيُّوب عليه السلام
- ١٠- يُونُسُ عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سُليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُثِّرت وزيدت إشرافاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُلُ المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها الأوهام والاباطيل ودعوا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام و انتهاءً بحاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسُلٍ وأنبياء . قال الله تعالى : (وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَرُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ

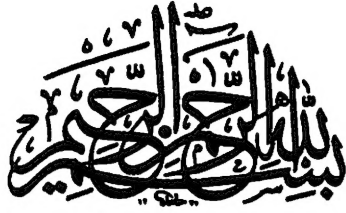


مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه

أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 221361 21 963 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داودُ النبيُّ والملكُ

هُوَ دَاوُدُ بْنُ إِيشَا وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بَيْنَ الْمُلْكِ وَالنُّبُوَّةِ، وَبَيْنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذْ كَانَ الْمُلْكُ يَكُونُ فِي أَحَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالنُّبُوَّةُ فِي آخَرٍ، وَلَكِنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿ فَهَزَمُوهُمْ يَازِدُ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ^(١) وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ^(٢) ﴾.

(١) الحكمة: النبوة.

(٢) سورة البقرة / ٢٥١.

داودُ الأَوَابُ

كَانَ دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ كَثِيرَ الصِّيَامِ، مَنَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُوَّةَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحِ، وَسَخَّرَ لَهُ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ اللَّهَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَوَهَبَهُ صَوْتًا عَظِيمًا، فَإِذَا تَرَنَّمَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ «الزَّبُور» وَقَفَ الطَّيْرُ يُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ. يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا (١) الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٢)﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (٣) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً (٤) كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (٥) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (٦).

وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُودَ. كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا...».

وَكَانَ دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَاكِمًا عَادِلًا مُتَّبِعًا لِلْحَقِّ الْمُتَزَلِّ

(١) ذَا الْأَيْدِ: القوة في العبادة.

(٢) أَوَّابٌ: رَجَّاعٌ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ.

(٣) مَحْشُورَةٌ: مَجْمُوعَةٌ.

(٤) سُورَةٌ: ص ١٧ - ٢٠ / .

مِنْ اللَّهِ، فَافْتَدَى بِهِ النَّاسُ فِي عَذْلِهِ وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ، فَكَانَتْ لَا تَمُضِي سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ إِلَّا وَهُوَ مُتَعَبِّدٌ مَعَ أَهْلِهِ، شَاكِرٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِعَمِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

طَالُوتُ وَدَاوُدُ

انْحَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَقْوَامًا غَلَبُوهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَظَلُّوا عَلَى ذَلِكَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ، حَتَّى كَانَ نَبِيُّهُمْ "صَمُوئِيلُ" فَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ وَفَزَعُوا إِلَيْهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَخْتَارَ لَهُمْ مَلِكًا، يَخْضَعُونَ لِسُلْطَتِهِ وَيَأْتِمِرُونَ بِأَمْرِهِ، لَعَلَّهُمْ بِهِ يَغْلِبُونَ الْعَدُوَّ. وَلَكِنَّ صَمُوئِيلَ كَانَ قَدْ خَبِرَهُمْ وَعَرَفَ خَبَايَا أَنْفُسِهِمْ وَتَوَقَّعَ أَنْ يَتَخَذَلُوا إِذَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ فَقَالُوا لَهُ:

- كَيْفَ نَتَّخِذُكَ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا؟ وَمَاذَا عَسَانَا نَفْعَلُ بَعْدَ هَذَا الدَّلِّ الَّذِي ابْتُلِينَا بِهِ غَيْرَ الدَّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِنَا؟.

فَتَوَجَّهَ صَمُوئِيلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَوْحِيهِ فِي شَأْنِهِمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:

(١) سورة: سبأ / ١٣ / .

- إني اخترت طالوت ملكاً عليهم، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴿٢٤٧﴾﴾ (١).

ولم يكن طالوت هذا غنيًا، وافر المال، وإنما كان فقيرًا، يرعى الماشية لأبيه، بل لم يكن معروفًا ذائع الصيت، ولكن الله عز وجل، رزقه ميلاً إلى الحرب، فكان عارفاً بالحروب قائداً مُحَنَكًا، وعندما أخبر صمويل بنى إسرائيل، أن الله عز وجل قد اختار طالوت ملكاً عليهم، ذهَبُوا وَعَبَّرُوا عَنْ رَفْضِهِمْ وَغَضَبِهِمْ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ:

- يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اخْتَارَهُ لَكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَبِمَصَالِحِكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَرَفُضُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

(١) سورة البقرة الآية / ٢٤٦، ٢٤٧ .

وَهَكَذَا أَصْبَحَ طَالُوتُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، فَأَحْسَنَ قِيَادَةَ الْجُنُودِ،
وَتَجَهَّزَ مَعَ قَوْمِهِ لِمُلَاقَاةِ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ كَانَ يَتَزَعَّمُهُمْ رَجُلٌ قَوِيٌّ
الْجِسْمِ، عَرِيضُ الْمَنْكِبَيْنِ، شَدِيدُ الْمِرَاسِ، فِي الْحَرْبِ خَبِيرٌ
بِهَا، يُدْعَى «جَالُوتَ» وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ فِي حَرْبٍ وَطَيْسٍ^(١)،
وَعِنْدَمَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي أَعْدَائِهِمْ رِجَالًا أَشَدَّاءَ، يَجُولُونَ
وَيَصُولُونَ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، انْقَسَمُوا إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ مِنْهُمْ
ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ، وَخَافُوا وَجَبُّوا فَتَرَاَجَعُوا عَنْ سَاحَةِ
الْمَعْرَكَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(٢).

وَقِسْمٌ مِنْهُمْ مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، فَظَلُّوا صَامِدِينَ
صَابِرِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَيَقْتَحِمُونَ سَاحَاتِ الْوَعْيِ^(٣)،
غَيْرَ وَجِلِينَ أَوْ خَائِفِينَ، يَطْلُبُونَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا
رَأَى جَالُوتُ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ سَتَطُولُ، ظَهَرَ يَدْعُو لِلْمُبَارَاةِ، فَأَحْجَمَ
الْقَوْمُ وَخَافُوا بَطْشَهُ وَقُوَّتَهُ. عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ النَّبِيُّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
يَسْتَطْلِعُ الْأَمْرَ، وَيَسْتَفْهِمُ عَنْ هَذَا الَّذِي خَافَهُ النَّاسُ وَخَشُوا

(١) حرب وطيس: حرب شديدة.

(٢) سورة البقرة (٢٤٩).

(٣) ساحات الوعي: ساحات المعارك.

لِقَاءَهُ، فَقَالُوا لَهُ:

- هَذَا جَالُوتُ زَعِيمُ الْأَعْدَاءِ، مَا بَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ إِلَّا رَدَّهُ جَرِيحًا
أَوْ قَتِيلًا، فَالْتَأَسُّ لَهُ خَاصِعُونَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَقَدْ جَعَلَ الْمَلِكُ
طَالُوتَ لِمَنْ يَقْتُلْ جَالُوتَ وَيُخَلِّصُ الْمُؤْمِنِينَ شَرَّهُ وَكَيْدَهُ، مُكَافَأَةً
عَظِيمَةً وَهِيَ: أَنْ يُزَوِّجَهُ إِحْدَى بَنَاتِهِ، وَيَجْعَلَ الْمَلِكُ لَهُ مِنْ
بَعْدِهِ، فَدَبَّتِ الْحَمِيَّةُ فِي نَفْسِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ
يُخَلِّصَ شَعْبَهُ مِنْ هَذَا الْفَارِسِ الرَّعِيدِ، فَطَلَبَ مِنْ طَالُوتَ أَنْ
يَأْذَنَ لَهُ لِمُلَاقَاةِ جَالُوتَ، فَاسْتَخَفَّ طَالُوتُ بِهِ، وَهُوَ الْفَتَى الْغَرُّ
الَّذِي لَمْ يَتَدَرَّبْ بَعْدُ عَلَى فُنُونِ الْقِتَالِ وَالْمُرَاوَعَةِ، وَلَكِنَّ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصَرَ عَلَى مُنَازَلَةِ جَالُوتَ قَائِلًا لِلْمَلِكِ:

لَا تَسْتَخِفَّ بِنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَرَعَمَ صِغَرِ سِنِّي، وَضَعَفِ
جِسْمِي، إِلَّا أَنِّي سَأَنْتَصِرُ عَلَيْهِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَغْمُرُ قَلْبِي
وَالْحَقْدَ الدَّفِينِ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَغْلِي فِي صَدْرِي، وَعِنْدَمَا رَأَى
طَالُوتُ تَصْمِيمَ دَاوُدَ عَلَى الْقِتَالِ، مَنَحَهُ ثِيَابَهُ وَثَرَسَهُ وَسَيْفَهُ، إِلَّا
أَنَّ دَاوُدَ أَلْقَاهَا جَمِيعًا، وَذَهَبَ إِلَى عَدُوِّهِ جَالُوتَ، مُتَسَلِّحًا
بِمِقْلَاعٍ وَبَعْضِ الْأَحْجَارِ، وَعِنْدَمَا رَأَاهُ جَالُوتُ سَخِرَ بِهِ وَاسْتَهْزَأَ
بِمِقْلَاعِهِ وَحَجَرِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ دَاوُدَ إِلَّا أَنْ تَنَاوَلَ حَجَرًا وَوَضَعَهُ
فِي الْمِقْلَاعِ وَأَطْلَقَهَا، فَأَصَابَتْ جَالُوتَ إصَابَةً قَاتِلَةً، ثُمَّ أَتْبَعَهُ
بِأُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى أَنْ سَقَطَ صَرِيحًا عَلَى الْأَرْضِ، فَانْتَصَرَتْ

رَأَيْتُهُ الْحَقَّ وَانْهَزَمَ الْأَعْدَاءُ، وَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَوْلَ دَاوُدَ،
وَاتَّלَفَتْ عَلَى مَحَبَّتِهِ الْقُلُوبُ، فَمَنْحُوهُ الْحُبَّ وَالْوُدَّ وَالْإِخْلَاصَ،
وَصَارَ حَدِيثَ الْقَوْمِ، وَمِخْوَرَ اهْتِمَامِهِمْ، يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ^(١)،
وَوَفَى طَالُوتُ بِوَعْدِهِ وَزَوَّجَ ابْنَتَهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَاشَ
مَعَهَا سَعِيداً هَانِئاً لِكِنَّ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءَةِ لَا تَدُومُ، فَقَدْ تَغَيَّرَ
طَالُوتُ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ حِقْداً وَغَيْرةً، مِنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ
أَنْ انْقَضَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ، إِثْرَ الْإِنْتِصَارِ الَّذِي حَقَّقَهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَعَزَمَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهُ فَدَعَاهُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلاً:

- يَا دَاوُدُ إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَوِيَتْ شُوكَتُهُمْ وَجَمَعُوا جُمُوعَهُمْ
يُرِيدُونَ قِتَالَنَا، فَاذْهَبْ إِلَيْهِمْ وَلَا تَعُدْ إِلَّا مُنْتَصِراً، أَوْ مَحْمُولاً
عَلَى الْأَكْتَفِ، وَحَسِبَ طَالُوتُ أَنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْهُ، فَهُوَ حَسَبَ
زَعْمِهِ، لَنْ يَعُودَ أَبَداً وَلَكِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَمَلَ عَلَى
الْأَعْدَاءِ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ اِنْتِصَاراً عَظِيماً، وَعِنْدَمَا سَمِعَ طَالُوتُ
بِإِنْتِصَارِهِ عَزَمَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِنَفْسِهِ، وَعَلِمَتْ زَوْجَتُهُ دَاوُدَ
بِنِيَّةِ أَبِيهَا، فَصَحَّتْ زَوْجَهَا بِالْهَرَبِ نَجَاةً بِحَيَاتِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ
دَاوُدَ إِلَّا أَنْ تَجَهَّزَ هَارِباً فِي غَلَسٍ^(٢) اللَّيْلِ، فَأَوَى إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ
سَرْعَانَ مَا عَرَفَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَهَرَّعُوا إِلَيْهِ، تَارِكِينَ طَالُوتَ فِي

(١) البنان: الأصابع.

(٢) غلس الليل: ظلام الليل.

كَمَدِهِ وَغَيْظِهِ، الَّذِي تَجَهَّزَ مَعَ قَوْمِهِ الضَّالِّينَ، يُرِيدُ مُقَاتِلَةَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَرَجَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلًا يَبْحَثُ عَنْ طَالُوتَ، الَّذِي أَرْهَقَهُ الْمَسِيرُ فَنَامَ، فَتَسَلَّلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ وَاسْتَلَّ رُمَحَهُ وَخَرَجَ، وَعِنْدَمَا أَفَاقَ طَالُوتُ سَأَلَ عَنْ رُمَحِهِ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولٌ بَعَثَهُ دَاوُدُ إِلَيْهِ قَائِلًا:

- يَا طَالُوتُ هَذَا رُمُحُكَ، وَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لِدَاوُدَ مِنْ رَأْسِكَ، إِلَّا أَنَّهُ عَفَا عَنْكَ، وَقَدْ كَانَ قَادِرًا عَلَى قَتْلِكَ، فَتَأَثَّرَ طَالُوتُ بِهَذَا الْكَلَامِ، تَأَثَّرًا شَدِيدًا، وَعَرَفَ سُوءَ نِيَّتِهِ، وَبَاطَلَ أَفْعَالِهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ، وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الصَّخَرَاءِ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَغْفِرَةَ، وَيَتَوَسَّلُ مِنْهُ التَّوْبَةَ حَتَّى مَاتَ.

أَمَّا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، مُبَايِعِينَ وَآيَدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ.

نِعَمُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ

إِنَّهَا نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ غَمَرَ اللَّهُ بِهَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ أَنْ تُشَارِكُهُ الْجِبَالُ تَسْبِيحَهُ ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّيَ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴿﴾ (سبأ: ١٠).

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّسْبِيحُ خَاصًّا بِالْجِبَالِ وَحْدَهَا، بَلْ كَانَ لِلطَّيُورِ

مُشَارَكَةً فِيهِ أَيْضًا ﴿وَالطَّيْرَ تَحْشُرُهُ كُلُّ لَهْ وَأَوَّابٌ﴾ (ص: ١٩).

وَنُحْنُ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ رَبَّهُ وَيُزَيِّرُهُ، ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

أَمَّا سَيِّدُنَا دَاوُدُ فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِبَالِ وَالطُّيُورِ انْسِجَامٌ فِي التَّسْبِيحِ فَهُوَ يُسَبِّحُ وَهِيَ تُؤَوِّبُ وَعَلَّمَ دَاوُدَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦).

فَالظَّاهِرُ أَنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَمِنْهَا مَا عَلَّمَهُ مِنْ مَنْطِقِ الطَّيْرِ وَالْإِنِّ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ﴾ ① أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿سبأ: ١٠-١١﴾.

فَكَانَ فِي يَدِهِ كَالشَّمْعِ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ إِحْمَاءٍ أَوْ طَرَقٍ.

وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُشِيرُ إِلَى التَّقَدُّمِ الْحَضَارِيِّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي ذَاكَ الْحِينِ، وَقَدْ أَفَادَ مِنْ ذَلِكَ فَصَنَعَ الدَّرُوعَ الْمُرَكَّبَةَ مِنْ حَلْقِ الْحَدِيدِ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَاسِكِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٨٠).

وَشَدَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ، وَنَصَرَهُ عَلَى مُنَاوِيهِ ﴿وَشَدَّدْنَا مُلْكُهُ﴾
(ص: ٢٠).

أَيُّ قَوَّيْنَاهُ بِالْهَيْبَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَكَثْرَةِ الْجُنُودِ. وَآتَاهُ اللَّهُ
الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ: أَيِ الثُّبُوتِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَأَعْطَاهُ الزُّبُورَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَا
دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣).

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قَصَائِدَ وَأَنَاشِيدَ، تَتَضَمَّنُ تَسْبِيحَ اللَّهِ وَحَمْدَهُ،
وَالْتَضَرُّعَ لَهُ، وَبَعْضَ أَخْبَارِ مُسْتَقْلَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

أَيُّ أَنَّهُ تَتَضَمَّنُ الْإِخْبَارَ بِشَأْنِ النَّبِيِّ الْآتِي (مُحَمَّدٍ ﷺ)،
وَأَصْحَابِهِ كَمَا فِي الزُّبُورِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ.

وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَ الصَّوْتِ، حَسَنَ
الْإِنْشَادِ، حَتَّى إِنَّهُ إِلَى الْيَوْمِ مَضْرِبٌ لِلْمَثَلِ بِحُسْنِ الصَّوْتِ فَيُقَالُ
لِلْحَسَنِ الصَّوْتِ: إِنَّهُ أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ.

مَكَانُ الْعِبْرَةِ مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ - إِنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى لِفَعْلِ الْعَجَائِبِ بِيَدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَفْعَالِ، لِأَنَّهُ كَانَ غُلَامًا رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى بِيَدِهِ جَالُوتَ الْجَبَّارِ، الَّذِي تَحَامَتُهُ الْأَبْطَالُ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُ بِسَيْفٍ أَوْ رُمَحٍ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَيْهِ بِدِرْعٍ وَلَا تُرْسٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ بِحَجَرٍ أَرْسَلَهُ مِنَ الْمِقْلَاعِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قَهْرِ اللهِ تَعَالَى لِلْجَبَابِرَةِ بِأَخْفَرِ الْأَشْيَاءِ عَلَى يَدِ أَوْعَفِ الْعِبَادِ.

٢ - إِنَّ الشَّخْصَ الضَّعِيفَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّسَعَ مِنَ النَّجَاحِ، وَإِخْرَازِ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ، مَا دَامَ مُعْتَصِمًا بِأَسْبَابِ التَّقْوَى، وَالشُّكْرِ لِنِعْمِ اللهِ تَعَالَى.

٣ - إِنَّ انْتِصَارَ دَاوُدَ عَلَى جَالُوتَ لَمْ يُغَيِّرْ مِنْ طِبَاعِ دَاوُدَ وَلَمْ يَذْهَبْ بِهِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْكِبَرِيَاءِ، بَلْ لَمْ يَزِدْهُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا تَوَاضُعًا، وَكَانَ اللهُ يُرَفِّعُهُ دَرَجَاتٍ كُلَّمَا تَوَاضَعَ وَشَكَرَ.

٤ - إِنَّ طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى، وَشُكْرَ نِعَمِهِ، مِمَّا يُوجِبُ الْمَزِيدَ مِنْهَا، فَإِنَّ اللهُ تَعَالَى لَمَّا رَأَى طَاعَةَ دَاوُدَ، وَشُكْرَهُ زَادَهُ مِنْ نِعَمِهِ، فَأَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدَّرُوعِ الْمَسْرُودَةِ، لِتُخَصِّنَ النَّاسَ مِنَ الْبَاسِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِوَلَدِهِ سُلَيْمَانَ، الَّذِي

وَرِثَهُ مُلْكُهُ، وَعِلْمُهُ، وَحِكْمَتُهُ.

٥ - حَفِظَ اللَّهُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَوَقَاهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْخَطَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكَينِ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانَيْنِ لِيَدُلَّاهُ عَلَى الصَّوَابِ: يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴿٢٤﴾ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ ﴿٢٥﴾ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٦﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴿٢٧﴾ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٨﴾﴾ (٢٦).

(١) عزني في الخطاب: أي غلبني في الجدل.

(٢) الخلطاء: الشركاء.

(٣) ظن: أيقن.

(٤) لزلفى: زيادة الخير في الدنيا.

(٥) مآب: مرجع في الآخرة.

(٦) سورة: ص الآية (٢١ - ٢٥).

أصحابُ القرية

اخْتَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَوْمَ السَّبْتِ يُقَدِّسُونَهُ، وَخَصَّصُوا لِعِبَادَتِهِمْ وَلَطَاعَتِهِمْ، وَمَرَّتْ بِهِمُ الْآيَّامُ وَالسَّنُونَ، وَهُمْ عَلَى تَقْدِيسِهِمْ لِيَوْمِ السَّبْتِ سَائِرُونَ.

وَفِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا / أَيْلَةُ / عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، كَانَ يَسْكُنُهَا قَوْمٌ مِنْ سُلَالَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي عَهْدِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَتِ الْحِيتَانُ تَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَتَأْنَسُ وَتَتَكَاثَرُ، وَالنَّاسُ حِينَئِذٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَيْدَهَا، لِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يُمَارِسُوا الصَّيْدَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْأَحَدِ عَادَتِ الْحِيتَانُ إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ.

وَلَكِنَّ الْفُسَّاقَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، نَسُوا تَعَالِيمَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَجَرَّهُمُ الطَّمَعُ إِلَى أَنْ يَصِيدُوا الْحِيتَانَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَذَلِكَ لِسُهُولَةِ صَيْدِهَا، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ صَدَّهُمْ عَنْ عَمَلِهِمْ هَذَا، طَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَقْتَسِمُوا الْقَرْيَةَ، فَارْتَضَى الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُقَاسِمُوهُمْ الْقَرْيَةَ، وَاسْتَمَرَ الْفُسَّاقُ فِي صَيْدِهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ، رَغْمَ مُحَاوَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ زَجْرَهُمْ وَرَدْعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَحَتَّى النَّبِيُّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، فَأَتَجَهَّ إِلَى رَبِّهِ، يَسْتَنْصِرُهُ وَيَطْلُبُ اللَّعْنَةَ عَلَيْهِمْ، فَأَجَابَ اللَّهُ سُؤَالَهُ، وَحَقَّقَ أَمْلَهُ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَسَأَلَهُمْ^(١) عَنِ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً^(٢) الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ^(٣) فِي السَّبْتِ إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا^(٤) وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا
تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ
تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ^(٥) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهِوا
عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٩﴾﴾^(٦).

(١) وَاسْأَلَهُمْ: يَا مُحَمَّد.

(٢) حاضرة البحر: مجاورة لبحر القلزم وهو البحر الأحمر.

(٣) يعدون، يعتدون.

(٤) شُرْعًا: ظاهرة على الماء.

(٥) بئيس: شديد.

(٦) سورة الأعراف: (١٦٣ - ١٦٦).